تفريغ محاضرة

يريد الله بكم اليسر

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

٥ / ٦ / ١٤٤٢ هـ

من نحن ؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين دروس د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جميع المحتوى وتنظيمه ونشره ليسيلَ عذباً الى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الالكتروني:

info@rawaa.org

يريد الله بكم اليسر

الحرية؟

في واقعنا الحالي ما إن نفتح موقعا من مواقع التواصل الاجتماعي إلا ونجد الرأي العام ثائرا حول قضية ما، في أي مرة نطلع فيها على المواقع نجد قضية، نغلق الموقع ونفتحه مرة أخرى فتظهر قضية جديدة، ويكاد أنه لا أحد من الناس من يمسك قلمه أو لسانه أو أصابعه من الكتابة والإفتاء والتحدث حول القضايا فيكثر القيل والقال،

وكأن العالم خلال العشر سنوات الماضية كان قدرًا يغلي على نار، تثور فيه الأحداث والقضايا والتعليقات وهجوم الناس طوال الوقت، فلا يقوم مبدأ ولا يصل أحد إلى أي استنتاج، ويتحدث الكبير والصغير والعاقل وغير العاقل

كلٌّ يكتب ما شاء دون أن تظهر حقيقة مؤهلاته أو عمره، فتجد أنك بعد نقاش في أمور العقيدة والحريات إنما تتحدث مع طفل صغير لم ينهِ المرحلة المتوسطة بعد.

ومن أواخر القضايا الظاهرة، هي قضية تقديم حرية الإنسان أم الشريعة الإلهية في الحياة، ماذا يُقدم على الآخر؟ الحرية؟ أم التوحيد والشريعة؟ ونجد الجواب السريع هو أن الحرية مقدمة على كل شيء، ولكن من يعلم حقيقة هذا الدين، يعلم بأن هذه الحرية لا يمكن أن تؤخذ على وجهها الحق إلا إذا حقق الدين والتوحيد في حياة المرء.

لا تمنح الحرية السطحية في الدين الإسلامي، ولا تعطى الحرية من عبادة العباد أو رق الدنيا، بل تتحقق الحرية الأسمى من هذا، وهي أن دين الإسلام يحرر الإنسان أصلا من نفسه ومن هواه.

ونلاحظ مثالا مشابها لهذا في التربية، علق شخص على الدكتور أسامة الجامع بالتذكير بضرورة تربية الطفل على القوة والصلابة النفسية، حيث لا يعطى ما يريد في الوقت الذي يريده، بل يتعود على ضبط النفس والتحكم بالغضب والانفعال أو الهوى الذاتي،

فمثلا ضع أمام طفل قطعة من الحلوى، وقل له بأننا سنخرج للعب غدا بشرط ألا تأخذ هذه الحلوى، وراقب هل سيأخذها أم سيؤثرها من أجل الخروج غدا.

ضبط النفس هذا للأطفال هو حقيقية يربينا عليها الدين حتى ونحن كبار، ترك الشهوات الحاضرة لموعد غيب لم نره، **يقول السلف: (طوبى لمن ترك شهوةً حاضرة، لمَوعد غيبٍ لم يرَه)**، فتكمن الحرية هنا في الارتفاع عن شهوات وأهواء النفس، كل القوانين الأرضية تحكم ما بين الناس، لكن هذا الدين يحكم بينك وبين ذاتك، ويقدم لك حرية الارتفاع عنها.

وحديثنا هنا عن هذا الشرع، ماذا فعل بالناس ولمن الحق في الحكم على حياة الناس؟ وهل الدين يعني بالضرورة التشدد والتعسير على الناس وسلب حرياتهم؟

الدين والدنيا

وصف الله عز وجل القرآن عندما أنزله: **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)** (المائدة:48)،

إذن القرآن الكريم خاتمة لكل الكتب السماوية، قال الله عز وجل: **(نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ)** (ال عمران: 3)، فهو مصدق للكتب السماوية ومهيمن عليها، لأن الكتب الباقية تعرضت للتحريف، ويبقى القرآن محفوظا بحفظ الله عز وجل إلى قيام الساعة، وهو ليس كتابا يقرأ وحسب، إنما هو شرع من السماء، منهج نعيش به، ووحي نحتكم إليه، و(الشرعة) الأخيرة هي شرعة القرآن، **فالقرآن هو أشمل الكتب وأعظمها وأجملها وفوق هذا أصرحها في إحقاق الحق وإبطال الباطل**، لذلك فشرعة القرآن فيها الدين والدنيا، ليس فيها انفصال الدين عن الحياة كما يدعو أهل العلمانية بانفصال الدين عن الدولة، لذلك نجد الطبيب المتمسك بشرع الله والمهندس المتمسك بشرع الله ورئيس مجلس إدارة متمسكا بشرع الله، لأن هذا الدين يعيش معنا كل تفاصيل حياتنا دون أن ينفصل عن دنيانا وواقعنا.

حريتي وحرية الآخرين

يقول الله عز وجل: **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)**، بماذا وعدهم الله عز وجل؟ **(لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)** (النور: 55)،

ما هو هذا التمكين؟ شرحه الله عز وجل في آية أخرى: **(الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)** (الحج: 41)،

صورة الشريعة السماوية ليست أنها عبارة عن مواعظ وأخلاق أو ممارسات فردية وحسب، وليست في أن حريتي تنتهي عند حرية الآخرين، حقيقة هذا الدين هو تمكينه في الأرض بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، أي شريعة الأحكام، ثم يأتي بعد ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله عز وجل: **(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)** (آل عمران: 110)، وهذا الأمر يجب أن يكون حاضرا في ذهن المسلم، فلا يتقوقع على نفسه ويظن أن صلاحه الذاتي كاف، لا يبالي بأحد، بل ما يربينا عليه الإسلام هو أن نكون مجتمعا واحدا مصلحا يأمر بالخير وينهى عن المنكر.

ما هو الدين ولمن يكون؟

قبل بيعة العقبة الأولى والثانية، في بدايات الدعوة في مكة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور على القبائل في موسم الحج ويقول: **من يؤويني لأبلغ دين ربي، من يؤويني لأدعو لدين ربي،** وكان صلى الله عليه وسلم يدخل في مفاوضات مع قبائل أخرى، فكانت القبائل مختلفة، بعضهم أعقل من الآخر، وبعضهم فيه من بقايا دين إبراهيم عليه السلام، فكان يعجبهم قول النبي صلى الله عليه وسلم، فيأتونه ويستمعون إليه ويستمعون إلى القرآن، ويتفاوضون مع رسول الله: **إذا تبعناك وآزرناك فهل لنا من ملكك ونبوتك؟ أنتقاسم معك الملك والنبوة؟**

ويقول آخرون: **إن بيننا وبين كسرى اتفاقا ونخاف إذا تركناه وجئنا معك ألا يكون لنا نصيب من الدنيا**، فيدخلون في نقاشات من هذا القبيل، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد قولهم، فالدين ليس مقتصرا على المصالح المادية، فلا يصح أن يُؤمن ببعض الكتاب ويُكفر ببعض،

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يبحث عن مأوى يحميه أو عن علاقات شخصية ومنافع، بل كان يبحث عن مكان يحتكم فيه إلى شرع الله ويطبقه فيه، وكانت قريش تعلم ذلك بالضبط: **فعن ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَ: يَا صَبَاحَاهْ ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ ، قَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟** [أخرجه البخاري، صحيح]،

لماذا غضب أبو لهب؟ لأنهم يعرفون أن لا إله إلا الذي موجود في السماء، هم أصلا يطوفون بالبيت وهو رب البيت، وكل أصنامهم وآلتهم وما يذبحونه لها إنما هي قرابين من المفترض أن تقربهم وتوصلهم إلى الله، فهم مؤمنون بوجوده، ولكن القضية ليست مجرد كلمة تقال، لكن أن نقول لا إله إلا الله أي لا مشرّع إلا الله، فتذهب التقاليد والعادات التي كانت تشرع لهم، وهذا ما تغضب منه قريش، وما تقف ضده.

وهذا الدين الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم وأقامه الصحابة رضوان الله عليهم من بعده، ونشروه، لم يكونوا يبلغونه كقصص تروى، أو أمجاد وبطولات، كيف وهم الذين تعلموا في مدرسة رسول الله عليه الصلاة والسلام، بل بلغوه دينا يُظهر الحق والباطل، يبين الحلال من الحرام، وفيه عزم النفوس على إتيانها، وفيه الإيمان قولا وعملا، والاحتكام إلى شرع الله وليس العادات والتقاليد،

فالدين ليس مجرد قول لا إله إلا الله، وإنما العمل بمقتضاها، وعندما منعت بعض القبائل الزكاة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، أمر أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم، هذا وهو رجل رقيق القلب أسيف لا يملك دمعته، فواجهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الشديد القوي،

وقال يا أبا بكر أنقاتل قوما يقولون لا إله إلا الله؟، كيف نقاتلهم وهم يقولون الشهادة؟ ولكن عندما نتذكر جواب النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قال: **يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ. [أخرجه مسلم، صحيح]**، (إلا بحقها)، ودخلت تلك القبائل التي منعت الزكاة في هذا الإستثناء، فمجرد أن تمنع شيئا من شرائع الله كإتيان الزكاة، فهذا محاربة لشرع الله عز وجل.

فالدين ليس مجرد مواد تدرس، أو مناهجا في المدارس، وليس رسائل جامعية أو مقالات لنخبة مثقفة من الناس، وإنما هو منهج حياة يحتكم إليه الناس، ومرجعيتهم تكون إلى شرعة الله عز وجل، فمن أراد حياة صحيحة لابد أن يطبق هذا الدين.

مثلا يدعو كثير من الناس إلى الحرية المطلقة بين الجنسين، فلا يؤمنون بالحدود بين المرأة والرجل، بل إن المرأة كالرجل ولماذا نُشيطن المرأة أو الرجل لا يمكن أن يحدث شيء بينهم وإلى آخره.

فاحتكم الناس هنا إلى أهوائهم وعقولهم ولم يدركوا أن الشرع هنا لا يضبط المرأة ولا يضبط الرجل فحسب، إنما هو يضبط ما يمكن أن يحصل، ويضبط حقوق أشخاص آخرين خارج هذا الإطار يصيبهم الضرر، فالآن لو أخطأ الرجل والمرأة وحصل بينهم ما حصل، فإن الإسلام يحفظ حق هذا الطفل المولود من علاقة محرمة، فلا يقتل في بطن أمه، هو نفس منفوسة حفظها الله عز وجل لا يجوز للأم أن تقتل ما في بطنها ثمنًا لغلطة ارتكبتها، فلأي نسب يرجع هذا الطفل؟ لأي ذمة؟ كل هذا محفوظ في الإسلام،

ولكن بالنسبة للأهواء البشرية كما يحصل في الغرب، يرمى الأطفال في القمامات أو في النهر، وبسبب كثرة ذلك تصرفت كنائس أوروبا -هناك وثائقيات كبرى عنها- ووضع في كل كنسية نافذة صغيرة يوضع فيها المواليد غير الشرعيين المتخلى عنهم، قبل المستشفيات وعمليات الإجهاض، فيوضع الطفل في النافذة لتستقبله الكنيسة من الجهة الأخرى، كي لا يرمى الأطفال في الشوارع ولا عند أبواب الكنائس،

فأي علاقة تطور في حرام لابد أن يكون لها ثمن، وهذه ممارسات لا يعرفها المجتمع المسلم، لأن الإسلام يحفظ حق هذا الطفل الصغير، ويحفظ حق المجتمع في ألا يكون منزوع الضمير، منزوع الأخلاق، منزوع الذمة، مختلط الأنساب، وهذا لا نجده في القوانين الأرضية أو الحريات الموجودة.

ومثال آخر على ذلك هو حرية استعمال الربا في تطوير المال، هناك من يطالب بذلك وبأن من يريد أن يرابي فليفعل.

ألا يعقل أنه عندما يحرم الإسلام شيئا فلابد من أثر اجتماعي له، هناك العديد من المساوئ التي تحصل، عندما تتراكم الفوائد على الناس ويصبح المال دولة بين الأغنياء فيتحول المجتمع إلى مجتمع رأسمالي، طبقة باذخة الثراء وطبقة مدقعة في الفقر، وهذا لم يعرف في مجتمعات المسلمين قديما من الصين وحتى الأندلس، فكل بيوتها تتشابه ولا تمايز بينهم، الكل مقتدر يعيش حياته، وكلما تقدمنا في الزمن نقول بأننا نتقدم في الحضارة والرفاهية، ولكن مع هذا التقدم، انفصل المجتمع وتمايز بالطبقية، المجتمع الذي كان كل أفراده في تلاحم قوي، ويد كل فرد في يد الآخر، صار مفككا إلى أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء، في أولويات الحياة وفي كمالياتها.

قال الله عز وجل: **(أَلَا لَهُ الْحُكْمُ)** (الأنعام: 62)، فلا أحد ينازع الله عز وجل في حكمه، ولا لأحد الحق في تقسيم الناس وتشريع شرع غير شرع الله تعالى، وقال تعالى: **(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)** (الأنعام:57)، فالذي يفصل بين الحلال والحرام هو قول الله عز وجل، ليس الرأي الشخصي ولا الحاجة المادية التي نمر بها، يقول الله عز وجل: **(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** (الشورى:21)،

تخيل يوم القيامة تسأل هذا السؤال: من هم شركاؤك الذين شرعوا لك من الدين ما لم يأذن به الله، من الذي أحل لك ما حرم الله عز وجل؟ وهذا سؤال مهم ومصيري في قضية الحلال والحرام، لأن التحليل والتحريم من خصائص الألوهية، فليس لأي أحد كائنًا من كان أن يحلل حلالا أو يحرم حرامًا إلا الله عز وجل،

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ. وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ} قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ. [أخرجه الترمذي، وقال الألباني: حسن]،

أولا نجد الكثير ممن يلبس الصليب وقد عده الرسول صلى الله عليه وسلم وثنا يعبد، أي صنما يعبد من دون الله، وهي مجرد سلسلة لا أكثر ولا أقل، **وثانيا أن العبادة ليست السجود أو العبادة الظاهرة وحسب،** بل الطاعة في التحريم والتحليل، وهذا ما وضحه الرسول في الحديث.

فتحليل الحلال وتحريم الحرام هي من خصائص الألوهية، التي يجب ألا تعطى لأي أحد، فكل نصوص الكتاب والسنة تأمرنا إذا اختلطت علينا الأمور واشتد السواد وتعالت الأصوات ولم نعد نعرف الحق من الباطل، أن نرجع إلى الكتاب والسنة، **(فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (النساء: 59)، (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (الشورى:10).**

يقول الله عز وجل: **(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)** (المائدة: 49)، فالحكم إذا بين الناس إنما يكون بما أنزل الله، وليس باتباع الهوى، ولا أن نقدم أي أحد على قول الله، قال الله عز وجل: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)** (الحجرات: 1)، أي لا تقدم قول أي أحد على قول الله، لا شرعة ولا قانونًا ولا أمرًا على ما حرم الله عز وجل، وطاعة الخلق الوحيدة التي قرنت بالتوحيد هي طاعة الوالدين،

(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (النساء: 36)، ومع هذه القداسة إلا أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فحتى مع علاقتك بوالديك -مع الإحسان طبعا-، الامتثال للمعصية خط أحمر، فإذا كان هذا بين الإنسان وأكثر الناس منة عليه، فكيف بغيرهم؟

جاء القرآن متوعدًا لمن احتكم بغير شرع الله، قال الله عز وجل: **(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)** (الأحزاب:36)،

فنحن لا نملك اختيار الأحكام، يقول الله عز وجل: **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** (النساء:65)، (يحكموك) ليست فقط للنبي عليه الصلاة والسلام، وإنما هي تحكيم شرع الله، فنفي الإيمان عن هؤلاء حتى يحكموا الله عز وجل في حياتهم.

لماذا نتكلم عن التحكيم بشرع الله؟

لأن هذا التحكيم محارب، محارب بافتعال معارك وهمية غير موجودة أصلا فالناس مع موجة الثقافة الحاصلة والقراءة والتعرف على فلاسفة القرن الثامن عشر و التاسع عشر كأرسطو ورسو وغيرهم، بدأوا يتحدثون عن القرون القديمة وأعوام التنوير والثورة الفرنسية وغيرها، ويظنون أن الذي حصل في الغرب هو الذي يتكرر عندنا والأمر ليس كذلك،

الأمر عندهم أن الكنيسة استبدت وهي على دين محرف غير قائم على أسس صحيحة، استبدت الكنيسة مع طبقة من النبلاء والملوك إلى درجة أن المزارعين وطبقة الفلاحين كانوا يزرعون حقول كاملة، ثم في موسم الحصاد عند وقت بيعها والانتفاع منها إذ أنها كل رزقهم، تأتي الكنيسة لتأخذ كل المحصول دون استثناء وتبقي الفلاح بملابسه هو وأهله وتقول له هذا من أجل الرب والكنيسة وغيره وليس له الحق في الاعتراض وإذا اعترض صلب في قريته.

ووصل بهم البغي إلى درجة أنه لو أراد أحد المزارعين أن يتزوج من واحدة يجب أن تبات ليلة عند أحد جنود الملك قبل أن يدخل عليها زوجها، شيء من البغي والجور والظلم والإفساد مما لا يطيقه الناس ولذلك لما فتح المسلمون البلدان ما فتحوها عنوة بالسيف، والذي يقول هذه الكلمة لم يقرأ التاريخ حقا، فقد كانت هناك معارك،

ولكن ما الذي جعل أهل البلاد كلهم يدخلون في الإسلام؟ ما الذي أدخل طاجكستان والصين والأندلس في الإسلام؟

كان العدل الذي رآه النصارى وغيرهم في هذه الشرعة السماوية، هذا العدل السماوي الذي لمسوه في الحياة الاجتماعية وبين علاقاتهم، هو ما أدخلهم الإسلام، وإلى الآن مع المبتعثين في الخارج رغم ضعف الدين إلا أنه من خلال المواقف البسيطة التي تصدر منهم وبينهم تكون منفذًا للنظر عند العالم الغربي.

تخيلوا فقط أنه عند فتح الدول وبعد أن تتعرف على الإسلام لأول مرة، كانت الدول بأكملها تدخل الإسلام.

ولذلك ما الذي حصل عندما ثار الناس في فرنسا؟ الانجاز الذي فعلوه أنهم نزعوا الحكم من الكنيسة وأعطوه للشعب فبدلاً من أن يحكم واحد أصبح الكل يحكم لا أكثر ولا أقل،

لم يكن الانتقال من البشر ورب البشر ولم يكن الانتقال من حكم الأرض لحكم السماء، وإنما نقلوها من بشر إلى بشر ولذلك الآن حديثًا أصدرت فرنسا قانون منع تعدد الزوجات -طبعا للمسلمين- ثم يأتي إيضاح هذا القانون، لتعرفوا كيف ينتكس العقل البشري، أن الممنوع هو تعدد الزوجات لكن ليس هناك منع للجنس الجماعي ولا لتعدد العشيقات ولا لغير هذا كله لا مانع أبدًا،

فأيهم أضر للصحة؟ أيهم فيه انتكاسة للمفاهيم؟ أيهم أضر على المجتمع؟

بلا أخلاق ولا ضمير وبكل سفالة ودناءة، لاحظوا كيف يحرم الحلال الزلال ثم تحلل الدناءة والسفالة، وهذا وفق مفهوم الحرية لديهم، ولا تجرم الخيانة الزوجية، وهذا حكم البشر للبشر، لذلك جاء القران **(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)** (المائدة: 49).

تشقى البشرية عندما يكون مرجعها الأهواء، تشقى، لذلك حياتهم لا تستقر، يظن الناس أن لديهم كل الحريات لكن حياتهم غير مستقرة، لا يجدون فيها الراحة التي نشدوها، أعط طفلك كل أنواع الحريات وانظر هل سيسعد؟ هل سيطبقها على نفسه بشكل صحيح؟ لا! فإذا نام متى أراد وأكل ما أراد، طفل يفعل ما يريد من غير أي قوانين وأي احتكام إلى المصلحة العامة، سيشقى هو بنفسه!

فاعتراضنا كمسلمين إنما هو على من يعطل ولا يحكم شرع الله عز وجل، وعلى عكس هذا قامت البلد، حيث قامت المملكة العربية السعودية على ما لم يقم عليه أي بلد آخر، فكلها تقوم على قوانين دستورية، يصنعها الناس لأنفسهم، ولكن من منة الله عز وجل على أهل هذا البلد أن جعلها تحتكم لشرع الله عز وجل، ولا يجب الاتكال على ذلك بل يجب أن نطبقها نحن على أنفسنا، ورب الأسرة على أسرته، والأم على أولادها، والموظف على من تحته، ورئيس مجلس الإدارة على من تحته، يجب أن يكون هذا الاحتكام من أعلى رأس بالهرم إلى أصغر رأس.

ولو اجتمع كل البشر كل البشر! على أن يحللوا أمرًا حرمه الله عز وجل واجتمعوا على أن المصلحة في ذلك لكان القول ما قاله الله عز وجل: **(وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّه)** (الأنعام:116).

خذ مثالا على ذلك في أمريكا عام ١٩٢٠ رأوا أن الخمر أصبحت تأخذ منحى كبيرًا في المجتمع الأمريكي -وكانوا وقتها لا يزال لديهم قليل من العقل-، فالناس توسعت في الخمر وساءت الأخلاق وأصبح الرجال يضربون زوجاتهم وتقتحم كثير من البيوت، وكثرت حوادث الاعتداء والاغتصاب، أناس تذهب عقولها فما الذي سيحصل؟

فقامت حملة بإلغاء الخمر وصار لديهم رابطة لمحاربي الخمر وألفت دعايات إعلامية وصرف أكثر من ٦٥ مليون دولار، وكتب ما يقارب التسعة آلاف مليون صفحة، وقتل أكثر من مئتي شخص وسجن نصف مليون إنسان، كل هذا من أجل تطبيق قانون تحريم الخمر،

لنقارن الآن كيف حرم الخمر عندنا؟ لأناس أصلا ليس لديهم أي نوع آخر من المشروب إلا الماء واللبن والخمر، ونزل على أناس شابت رؤوسهم وكان الخمر شيئا من عاداتهم اليومية، فسابقاً كان هذا الشيء الوحيد من الترفيه الموجود بحياتهم، ومع ذلك بمجرد ما نادى منادٍ في سكك المدينة: ألا إن الخمر قد حرمت، ألا إن الخمر قد حرمت،

يقول أنس رضي الله عنه وهو الذي كان يسقيهم في جلسة من الجلسات وفيها طلحة وغيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم، يقول: "وما إن سمع القوم النداء حتى مجوا ما في أفواههم، لم يبلعها ثم يسأل ماذا قالوا؟" لم يبلعوها ثم تأكدوا من القول، أصحيح ما يسمعون أم لا،

نحن لو نزل بنا هذا الحكم ما الذي كنا سنفعله؟ كنا سنأخذ سنتين لنتأكد، من الذي قاله؟ هل أنتم متأكدون؟ صحيح أم غير صحيح؟ هؤلاء مجّوها من أفواههم وأشاروا لأنس أن اكسر الأواني التي فيها هذا الخمر.

يقول أنس: **(فوالله ما سألوا بعد عنها)**، كانت الخمر تجارة وأموالًا، لكن لم يسألوا عنها بعد ذلك أبدًا، انتهت بقرار، فلم يذكر التاريخ الخمر بينهم بعدها، ما ذكر إلا عن واحد من الصحابة وهو الذي كان كل مره يأتي للرسول صلى الله عليه وسلم ويقول يا رسول الله شربت فاجلدني. فكان يجلد على ذلك، واحد فقط من مجتمع كبير طبق فيه القانون.

هؤلاء الآن فعلوا كل هذه الأفاعيل وصرفوا كل تلك الأموال من أجل أن يُحرم الخمر، ما الذي حصل؟ عندما شرع الناس لأنفسهم؟ قبل قانون الخمر كان في أمريكا أربع مئة مصنع، وبعد هذا القانون فُتح ثمانون ألف مصنع خمر!

ووصل الشرب حد أنهم صاروا يشربونها الأطفال، في أحد التقارير يقول أحد القضاة: لم يكن في تاريخ بلادنا إقبال للصبية على احتساء الخمر مثل الآن. لم تمر أكثر من ثلاث عشرة سنة على هذا القانون إلا وألغي عام ١٩٣٣، فبسبب قوة المصانع والتجار والتجارة، ما استطاعوا أن يمنعوها، فأرجعوها، فالناس وإن لم يدركوا يشقون عند الاحتكام إلى عقولهم وأهوائهم، والذي يحصل الآن في المجتمع الغربي خير برهان ودليل على ذلك.

وهذه الشريعة التي نتعلمها والتي أنزلت بهذا القران لا يجب أن تكون كتابًا على رف، ولا حبرًا على ورق، وشرعنا ودينا ليس مجرد قيم جميلة، ولا أخلاق ولا تزكية نفوس فقط، إنما هو فوق هذا كله، فهو حق وباطل وهو حلال وحرام يجب أن يراعى وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

ليس في شرعنا تقديس للمشايخ أو القضاة، ولا لأي أحد يتكلم باسم الدين، فليس فينا إنسان معصوم، **عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ. (أخرجه البخاري، صحيح)**، فليس لدينا تقديس ولا كهنوت يدعى للأئمة أو للعلماء، وهذا غير صحيح، بل نحن نعرف الرجال بالحق، ولا نعرف الحق بالرجال، فنبدأ بالحق في القرآن والسنة، من تمسك بهما فهو على حق، ومن تركها فهو على باطل.

ما هي مميزات الشريعة الإسلامية؟

ما هو الذي لدينا ويجب أن نفخر به ونربي أطفالنا عليه؟ ما الذي يميز هذا الدين والاحتكام لله عن الاحتكام للعقول والأهواء؟

1- أن هذا الشرع إلهي المصدر.

لم يكتبه فيلسوف ولا عاقل ولا أديب ولم يكتبه إنسان في القرن السابع عشر ولا الثامن عشر، هو شرعة من السماء، منهج إلهي رفيع المنزلة ولا تدانيه كل القوانين الأرضية التي شرعها البشر لأنفسهم، ولذلك قال الله عز وجل: **(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** (الأعراف: 194). أي كيف تستندون في القوة على أناس هم أمثالكم، أنت مسلم مؤمن فالمفترض أن ترفع رأسك إلى السماء، إمداداتك هي من السماء احتكامك إلى شرع الله عز وجل. فهذه الشريعة معصومة من الخطأ والزلل،

قال الله عز وجل :**(لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى)** (طه: 52)، وكل أحكام الله سواء الجزائية كالقصاص مثلاً وقطع يد السارق أو الرجم أو الشرعية كتحليل الحلال وتحريم الحرام أو الكونية القدرية كموت الإنسان أو مرضه كلها أحكام الله لا يدخلها الخطأ والزلل، بل تأتي في توقيت لغاية وحكمة قد يعلمها الإنسان أو لا يعلمها، فنجد أن الله عز وجل يعطي في أوقات محددة تناسب العبد، على قدر عالٍ من الحكمة والدقة في جميع الأقدار الكونية.

وهذه الشريعة ملزمة لنا في السر والعلن، قال الله عز وجل: **(يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)** (طه: 7)، فلا نظن أن هذا شرع ملزمون به أمام بعضنا وحسب، بل إننا ملزمون به حتى عندما نغلق باب غرفنا، حتى لو لم يرنا أحد، حتى لو انقطعت الكهرباء وتعطلت نظم المراقبة، نجد أنه وفي المجتمعات البعيدة عن شرع الله إذا ما انقطعت الكهرباء تكثر عمليات النهب والسرقة وانتهاك القانون، هذا لأنهم لا يحكمون شرع الله في السر وفي العلن، وهذا الوازع الداخلي يجب على كل بيت أن يُبنى ويربي عليه، كل بيت وكل مدرسة وكل وظيفة وكل شركة وكل مؤسسة يجب أن تبني هذا النوع من مراقبة الله عز وجل.

2- أن هذا الشرع شامل لكل مصالح العباد.

في هذا الشرع من الرحمة واليسر الذي لا يوجد في أي قانون آخر، وكل ما يمكن أن نتخيله من مصالح الدنيا موجود في كلام الله عز وجل، فهذا الدين ليس مجرد علاقتك بربك، مال قيصر لقيصر ومال الله لله، هذا كله كلام غير صحيح،

فالإسلام وضع قواعد لكل شيء، من الطعام واللباس والمشي والكلام إلى التجارة والأموال والحكم والحرب. فحتى حقوق الحيوان لها من الشرع نصيب، **فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) (صحيح مسلم)**، أن المرء إذا أراد أن يذبح ذبيحته، فعليه أن يريحها، لذلك نجد أنه قبل الذبح بعد أن تساق الشاة مثلا إلى مكان الذبح، يتركونها فترة حتى تهدأ، ويخفون عنها السكين، وعلى السكينة أن تكون حادة حتى لا تعذب الذبيحة، وكل هذه التفاصيل هي لمجرد حقوق الحيوان،

وإذا نظرنا إلى الجانب الآخر، إلى مطاعم الوجبات السريعة كماكدونالدز، نجد أنواع التعذيب والفرم الذي يحدث للبقرة بأكملها وهي حية، الموت البطيء وأصوات الخوف التي تخرج من الحيوانات، فأي ذلك أرحم وأريح وأكثر حفاظًا على حق الحيوان؟

هذه الشريعة مبنية على اليسر قال الله عز وجل: **(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)** (البقرة: 185)، مبنية على الحنيفة السمحة، فالدين دين سمح،

قال النبي عليه الصلاة والسلام: **(إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)** [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح] فقد كان عند العرب أصلا أخلاق فاضلة معروفة من الكرم والشهامة والشجاعة والنخوة و إنما جاء النبي عليه الصلاة والسلام بتتمتها.

3- أنها شريعة وسطية.

قال الله عز وجل: **(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)**، وسطًا بين كل الأمم وكل شعوب العالم، فليس لنا غلو اليهود ولا ضلال النصارى، نحن وسط بين المنحرفين والمتشددين، وهذه الوسطية ليست ما يظنه البعض أنه اتباع للهوى، بل الدين الوسط الذي امتدحه الله عز وجل: **(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ)** (البقرة: 143)،

هذا هو الدين الوسط الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ما كان عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وكل الصحابة رضوان الله عليهم، وسلف هذه الأمة جميعًا،

هذا الدين الوسط المأمورون باتباعه، يؤلف بين الكمال البشري والواقعية، يقول الله عز وجل: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ)** (النحل: 90)، كل الشريعة جاءت بالعدل، فإذا طُبقت ذهب كل الظلم، وعولجت كل أمراض المجتمع، وتحقق الأمن بجميع أشكاله، السكن أو غلاء الأسعار كل هذا مضبوط بأحكام الشريعة وقوانينها، **مثلا قانون لا ضرر ولا ضرار، أي لا أحد يضرك ولا تضر أحدًا،**

فلنتخيل لو طُبق هذا القانون على الأفراد في كل شيء، من التجارة وفواتير الماء والكهرباء، لا تضر أحدًا ولا يقع عليك ضرر، فهذه القاعدة فيها من الثبات والمرونة ما يقودنا للميزة التالية للشريعة.

4- ثابتة إلى قيام الساعة.

مثلا لو أن امرأة اشتكت من زوجها إلى القاضي، أنه بخيل ولا يصرف عليها ولا يعطيها حقها هي وأولادها ليس عندهم ما يأكلون، نعود إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الحالة قبل ألف سنة، أعطى قاعدة شرعية بمثابة حكم قضائي يعمل به حتى اليوم: **قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِهِنْدٍ خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ ..”** [أخرجه البخاري، صحيح]، قد نظن أن هذه كلمة عادية ولكنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، قال (بالمعروف)

لم يقل خذي ما يكفيك شهريًا مثلا، ولو كنا سنحل المسألة في عصرنا الحالي كنا سنحدد نسبة وحسبة، مثلا خذي 10% من أملاك زوجك، ربما كانت ستأخذ 10 دنانير ذهب، فكلمة (المعروف) صار عليها كتب في الأحكام القضائية، فبالمعروف في ذلك الزمن يختلف عن بالمعروف في هذا الزمن، فلا تُطبق الآن نفس العشرة دنانير التي تكفي المرأة سابقًا، ولو تغير المكان لما طُبق نفس الحكم، فما يكفي الناس في الصين قد لا يكفيهم في مصر، فكلمة (بالمعروف) شملت كل الأحوال والزمان والمكان، فالأحكام في شرعنا لا يملك أحد حق الانتقاص منها أو التنزيل منها أو الشعور بأن الدين مهنة من لا مهنة له، فيظن الظان أن أهل الدين لا يفهمون شيئًا من أمور الدنيا، ولكن العكس صحيح، فمن لا يفهم بشرع الله ويحجمه ويخرجه من دائرة حياته يقصر فهمه عن إدراكه لمعنى الدين الحقيقي.

5- هذه الشريعة تخاطب القلب والعقل معا.

انظر إلى كل لوائح القانون في العالم، وإلى كل المواد كيف كتبت، المادة رقم 6 من القانون رقم 3، وانظر إلى كيفية كتابة القرآن، تسرد الأحكام الشرعية **(وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) ثم تختم بـ (أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ)** (النور: 22)،

فحتى لو كان المرء مغتاظا من أحد، كما حصل لأبي بكر رضي الله عنه مع الصحابي الآخر، كان ممتلئًا بالغيظ منه ويريد قطع النفقة عنه، حيث آذاه في ابنته وفي عرضه، ولكن مجرد ما سمع هذا التشريع، وهو يملك الخيار ولكن هذه الكلمة **(ألا تحبون أن يغفر الله لكم)** جعلته يقول بلى والله نحب أن يُغفر لنا،

فلا تخاطب هذه الشريعة العقل وحسب، وإنما تخاطب القلب والوجدان، فتجد أنك تمتلك هذه العبودية لله، ليس امتثالا للقانون وحسب، وإنما وأنت متعبد مذعن تشعر بنوع من الرضا.

مثلا عندما ترتدي الفتاة الحجاب ولا تفعل ذلك لمجرد القانون، بل لأن الله عز وجل يرضى عن ذلك ويحبه، تفعله إذعانًا لله واستسلاما لحكمه وحبًا في طاعته، الأمر ليس فقط "يا مره تغطي"، ليس سردًا للقانون وفرضه، إنما يخاطب الشرع وجدان المرء، فتكن الطواعية من عنده، قبل أن تلزم عليه، وهذا الإشباع لا يوجد في أي شرعة أخرى غير شرعة السماء.

6- هذه الشريعة تأمنك في دنياك وآخرتك وبعد موتك.

ربعي رضي الله عنه لخص وصف الشريعة عندما سأله رستم: ما جاء بكم؟ فقال: الله جاء بنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى رب العباد ومن جور الدنيا إلى فسحة الإسلام، ومن الجور إلى الفسحة، من الظلم إلى العدل،

هذا ما جاءت به الشريعة، فالقضية ليست فتح البلدان وتوسيع الأراضي، إنما قضيتنا إبلاغ دين الله عز وجل، فميزة هذه الشريعة التي لا توجد في أي قانون دستوري أو شريعة أخرى، هي أنها تُصلح الدنيا والآخرة، فالشرع اهتم بالصحة الجسدية،

قَالَ : رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "...فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ "[أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح] وحتى الصحة النفسية اهتم بها الشرع، **قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةٌ، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ " [أخرجه البخاري، صحيح]** فلا يتناجى اثنان دون الثالث، حتى لا يحزن ولا يحز في خاطره شيء،

لهذه الدرجة والإسلام رفيق بنا يهتم بكل مشاعرنا، وحتى على عرضك وظهرك، **(وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا)** (الحجرات: 12)،

<u>فالشريعة تكرم آدمية بني آدم</u>، فالإنسان له رغبات وحاجات والإنسان يحب ويكره، لذلك يُكرم الشرع آدميتك، فالله عز وجل لم يحرم شيئًا من طيبات الدنيا، لم يحرم إلا الخبائث، فكل الشرب حلال إلا الخمر، لأنه يذهب عقلك ويضر بك، وكل أنواع الطعام حلال إلا ما فيه مضرة، حتى لحم الخنزير عنه وثائقيات تذكر مضارّه، <u>فكل ما حُرم علينا إنما هو لمضرة سواء عرفناها أم لم نعرفها، من يعرف أن الشريعة جاءت بتقرير المصالح ودرء المفاسد يعلم أن الله لم يحرم شيئًا إلا وفي ذلك طهارة لهذا المجتمع وفيه نقاؤه و زكاؤه ،</u> وقال الله عز وجل: **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ)** (الإسراء: 70)،

يقول الله عز وجل: **(كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا)** (البقرة: 168) قد يقول قائل : عن أرض له هذه الأرض أرضي إذن سآكل التراب هو حلالي أيجوز له ذلك ؟ حلاله أن الأرض أرضه ولكن التراب غير طيب ومضر، والدين أتاح لنا كل الطيبات لصلاح أجسادنا وعقولنا ونفوسنا.

الأوقاف الإسلامية وأثر حكم الشرع على الناس :

الأوقاف في الشرع ليست ملزمة ولكن ندب إليها الإسلام بشكل كبير، أن توقف سهمًا في مستشفى أو مسجد أو أي مشروع دون أن تستفيد منه ماديًا وإنما يكون لله، صحيح أن الأوقاف بصورتها الكبيرة ليست حاضرة في دنيانا الآن، ولكن الحاضرة الإسلامية الأولى فعلت بالأوقاف ما لم تفعله حكومات العالم، فقد كانت تبنى المستشفيات الوقفية، أول المستشفيات التي عرفتها لحضارات البشرية، فقبل أن تعرف فرنسا وبريطانيا المستشفيات بأكثر من 900 سنة، كان الجميع يتعالج في مستشفيات المسلمين، ولم تكن كمستشفيات عصرنا الحالي إطلاقا، بل أكثر رعاية وخدمة، وسطرت في كتب المدونين والرحالة كابن بطوطة، وذكرها التاريخ، لمستشفى في الشام أو في الأندلس، كان يأتي المريض فيحممونه، ثم يطعمونه الطعام قليلا قليلا، ويجرون عليه الفحوصات، ويصرفون له أجره يومية، ليتقوى أو يرسلها لأهله لأنه ليس لديهم من يعولهم، فإذا شفي تماما، "فإذا طَعِمَ المريض الفالوج" وهو نوع من الطعام، أي إذا صار يتذوق وعادت له حاسة التذوق، معناه أنه استصح، فيخرجونه من المستشفى ويعطونه ثوبًا ولباسًا ورداءً، ويعطونه مالا كي يغنيه عن العمل لأيام إضافية فتكون فترة نقاهة له،

ولم يقتصر الأمر على وجود المستشفيات، بل حتى المصحات العقلية للمصابين بالجنون، وكانت هناك أوقاف للمطلقات والمهجورات، حتى لا تضطر إلى الخروج في الشارع وعمل الحرام، فكانت هناك دور تبنى، وكانت دور علم وعبادة، لم تكن للتسلية والترفيه عن النفس وتمضية الوقت كدور كبار السن الآن، بل كان يرى أن لهم الحق في التعليم والعيش.

لكل من ينظر إلى هذا الدين بنوع من الدنو، فليعلموا ما فعله هذا الدين عن قريب جدًا، قبل أقل من مائة سنة، قبل توحيد المملكة العربية السعودية، كان طريق الحج من العراق والشام إلى مكة والمدينة مليئًا بقطاع الطرق، قبل أن تتوحد البلاد كانت هذه الطريق كلها تُقطع وتُنهب، إلى درجة أنه في بعض السنوات كان الحج شبه متوقف، لم يحج إلا القريب من مكة بسبب كثرة قطاع الطرق،

فلما جاءت هذه البلاد بالشريعة، وذكر ذلك في الوثائق التاريخية، خلال أول أربع وعشرين سنة قطعت ست عشرة يد من قطاع الطرق، طبعا نحن نتحدث أن عدد كبير من قطاع الطرق خلال فترة طويلة، أربع وعشرون سنة، كم عدد اللصوص في السنة؟ مئة؟ أم ألف؟،

إذا العدد كبير، وقطع اليد من الأحكام الكبرى التي لا تطبق عبثًا، فنجد أنه خلال 24 سنة قطعت يد 16 سارق، ممن يقفون في طريق الحج. ما هي النتيجة؟

أننا الآن نسافر من الرياض إلى جدة ونحن في أمن وأمان، ولم يكن هذا نتيجة كاميرات المراقبة وإنما عندما طُبق الشرع. ولما ترجعون إلى وثائق المكتبة الشامية أو العثمانية وغيرهم التي وثقت تلك الحقب، تجدون الأمن وسكك القطارات، ولكن مجرد ما يتنحى المجتمع عن الدين، تظهر الجرائم والسرقات والنهب، وحتى مع العقوبات الأخرى كالسجن، لا يمكن ردع السارق، فيسجن سنة أو سنتين ثم يعود مجددا إلى فعلته، لا شيء كقطع اليد،

وقال الله عز وجل: **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)** (البقرة: 179)، القصاص قطع رقبة إنسان، ولكنه حياة كيف؟ في حياة البقية، فلو أن هذه الست عشرة يدًا ما قُطعت، لقطعت غيرها آلاف من رقاب الأبرياء، وسرق الكثير من الحجيج ونهبوا، وتقطع بهم السبل، فتلك الست عشرة يدًا التي قطعت كانت لهؤلاء حياة، لذلك هذه الشريعة جاءت حاكمة للعالم إلى قيام الساعة، لا تستبدل ولا تحرف، لا يصح استبدال حدود الله الواضحة بالسجن أو أي عقوبات أخرى، فما نزل من عند الله ثابت إلى قيام الساعة،

ولذلك وجدت عقوبة التعزير، فقد تختلف الأحوال، وتتعدد الجرائم، فهذا زنى، وهذا زنى مع اختطاف، وهذا ترويع مسلمة، وهذا سرق، وهذا قتل ليسرق، فتختلف عقوبة كل واحد من هؤلاء بحيثيات أخرى، فقد جاء الشرع ثابتًا مرنًا صلبًا صالحًا لكل زمان ومكان.

واجبنا تجاه الشريعة الإسلامية:

1- أن تجعل هذا الدين هو مرجعيتك الذاتية قبل أن تقرر أي شيء في حياتك. يجب أن يكون أول ما تفكر فيه بخصوص أي قرار، هو هل يرضي الله أم لا؟ لو كنت ستسافر إلى بلد فهل هذا البلد يرضي الله؟ أو لو عرضت عليك وظيفة فهل هي ترضي الله؟ كل القرارات المصيرية في حياتك عليك تحكيمها إلى هذه الشرعة، وليس قراراتك وحسب، بل ما تربي عليه أبناءك، تعودهم على قضية أن الأمر ليس مربوطًا بالعيب أو سمعة العائلة، بل أن الأمر يعود للشرع، نفعل كذا لأن الله يحب، ولأن الله أمر، ولأن الله حلل، ولأن الله حرم، ولو أن كل المجتمع والأقارب أقبل على فعل لا يرضي الله فنحن سنظل نبتعد عنه، لأنك لا تسترضي المجتمع وإنما تسترضي الله.

2- أن تتعلم الشرع وتعلمه للناس فهذا من أوجب الواجبات.

في زمننا ومع تقليل مناهج الشريعة والمتطلبات العالمية لا يعد هناك تعلم للعلم الشرعي، فالتوحيد البسيط وأمور العقيدة كلها خففت في تعليم الناس ولكنها ورغم ذلك لا تزال مسؤوليتك أنت كأب أو كأم أو كمربي أن تحث الأجيال على تعلم شرع الله، وألا نكون مجتمعًا متخلفًا دينيًا يخرج فينا الأطفال لا يعرفون الحلال من الحرام.

فيبلغ الطفل الخمس عشرة سنة وهو لا يعلم عن أي شيء يحدث في القبر، وعن الحياة الآخرة، ولا يعلم أنه سيحاسب، مشغول باللعب ومتابعة الأنمي والمسلسلات، ولا يبقى شيء إلا وضيع وقته فيه، ولا أحد يفتح عينيه على حقيقة الجزاء،

فالقضية ليست منسية ومهمشة، يجب تربيهم على أننا جميعا سنرحل، وسنحاسب، لذا عليك تعلم الشرع وتعليمه لأطفالك،

ومنذ القدم، والناس تحضر المعلمين والشيوخ ليعلموا أبناءهم الحديث والقرآن والعربية والشرع، للأسف الآن أطفالنا مكسرة لغتهم، وتفخر الأم بأن طفلها يتحدث الإنجليزية والفرنسية، أحد الأولاد الذين درسوا في مدارس عالمية يعرف كل شيء عن الآباء المؤسسين لأمريكا، ويعرف تاريخ الحرب الأهلية وحرب الشمال، يعرف كل شيء ولكنه لا يعرف أي شيء عن غزوة بدر ولا أحد، ولا يعرف أصلا تاريخ السيرة، ولا صفات النبي عليه الصلاة والسلام، ولما جاءته صحوة وقرر القراءة عن الدين، صار يقرأ عنه باللغة الإنجليزية، وهو عربي أبًا عن جد ولكن صار يستصعب لغته، فيقرأ عن دينه من كتب أخرى، من كتب المستشرقين، وحديثي الإسلام يقرأ عن دينيه بعيون زرقاء وشعر أشقر، يقرأ عن دينيه بعيونهم، لا يقرأه من كلام ابن تيمية ولا ابن كثير ولا ابن القيم رحمهم الله، لا يقرأه باللسان الذي أنزل به القرآن، وهذه مصيبة، فلا يظن الأهالي أنهم بمأمن إذا علمت ابنك وخرج بأعلى الدرجات، ولكنه يصل إلى عشرين سنة وهو لا يعرف سورة تبارك ولا سورة الحاقة ولا يحمل في جوفه شيئًا من القرآن، فأنت لم تربه، لا تظن أنك استفرغت وسعك التربوي وأن ابنك لديه شهادة وسيتوظف وحسب، فليكن موظفًا ولكن أيكون أفشل الناس دينا؟

أيرضيك هذا كأب أو يرضيك كأم؟ لو رأيت ما قد يحدث له في الآخرة، قد يؤذيك الأمر وأنت فقط تتخيله الآن، ولا تظن أنك لن تسأل عن رعيتك، **فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، .... وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، ..”** [أخرجه البخاري، صحيح].

والآن في زمننا الحالي البحث عن الحكم الشرعي أسرع وأسهل ما يكون، فقبل أن تفعل أي شيء من المهم أن تسأل وتبحث، هل هذا يجوز؟ ما حكمه؟ قبل الذهاب للأفراح وسماع الموسيقى ابحث عن الحكم، ابحث بحثًا جادًا عن علماء ربانيين لا علماء مداهمين،

الأقوال معروفة، حرمت المعازف وأحلت الدفوف في الأعراس والأعياد وعودة الغائب، إن في ديننا فسحة. ابحث عما يجوز وما لا يجوز، أيجوز صوت الرجل؟ أو صوت المرأة؟

الأمر ليس مجرد دعوة على فرح واستمتاع بالرقص والغناء، على المرء أن يفطن لشرع الله، ويحكمه في حياته، فهذه وظيفة الإنسان، أن يتعلم ويبحث، ويعلم أبناه، وستجد نفسك مستمتعًا راضيًا بالحلال البيّن، وفي فسحة الدين.

فلا بد أن تربى الأجيال على أن تنظر إلى هذه الشريعة بكل فخر، وأن يرفع المسلم رأسه عاليًا، وأن يعلم أن العالم الآن يعيش في سواد وتيه وانحراف بسبب البعد عن شريعة الإسلام،

فالمسلمون الأوائل لم يقبلوا على العالم بنفسية محطمة، وإلا لما انتصروا على حضارة الرومان والفرس، وقالوا: هم عندهم ونحن ما عندنا، كمن يقول انظروا إلى الغرب، لديهم ناسًا وتكنولوجيا النانو والاختراعات والاكتشافات، وأين وصلوا وإلى أين وصلنا، بل كانوا ينظرون إليهم وحضارتهم الدنيوية التي لا قيمة لها بدون شرع الله عز وجل،

قال تعالى: **(يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)** (الروم: 7)، ما ينفعك أن تعلم شيئا عن الدنيا وأنت غافل عن الآخرة، ولذلك كان المسلمون يفتحون البلدان مرفوعي الرأس، يذهبون إلى تلك الحضارات وفيهم ذلك الشموخ بأننا نمتلك شرعًا سماويًا لا تملكونه.

شرع الإسلام السماوي

هذا الموضوع البديهي كان سببًا في إسلام فتاة عمرها خمسة عشر عامًا، أدعوكم لمشاهدة قصتها في فيديو مدته تقريبًا 49 دقيقة،

هي فتاة مصرية نصرانية اسمها ميرنا عادل، كانت تزور جارتهم وهي حجة مصرية مسلمة، كانت تزورها كل يوم تقريبًا وتدور بينهم العديد من النقاشات من الأحكام الشرعية، وكانت الحجة المسلمة بسيطة لا تملك إلا النصح والدعاء في مواجهة كل نقاشات ميرنا، يومًا ما وجدت كتابًا للسيرة النبوية في بيت الحجة فقرأته، ثم قالت لها أرأيت أن نبيكم مزواج ما بقيت امرأة إلا وتزوجها، فترد علها الحجة أن هذا غير صحيح، فكل واحدة تزوجها لسبب،

فالرسول عليه الصلاة والسلام وعمره عشرين سنة تزوج امرأة أكبر منه بعشرين، ثم بعد أن كبر أكثر تزوج الثيبات والأرامل إلا عائشة رضي الله عنها،

وتستمر قصة الفتاة ومواقفها مع الإسلام واقتناعها به إلى سلسلة طويلة من العذاب التي شهدتها، وذلك لأنها في عمر الخامسة عشر تعد قاصرًا لا يحق لها تغيير دينها،

فظلت تحت حكم أسرتها التي مارست عليها أشكال الضغط، وإذا شاهدتم القصة ستتعرفون على العذابات التي مرت بها، حتى حاول أقاربها الاعتداء عليها ليكسروا أنفها، فهي تريد أن تسلم وأن تبقى عذراء فلم يريدوا لها ذلك لتترك فكرة الإسلام،

ثم سجنت في الكنائس، والكنائس تكون مباني كبيرة ومتعددة قد يسجن فيها إنسان ويعذب، وكانت تغسل الحمامات، ويحاولون غسل روحها من الإسلام، رحلة طويلة لمدة ثلاث سنوات قاستها تلك الطفلة، اختصرتها في المقابلة،

وسبب إسلامها كان سؤالا أثار حيرتها وحزمها، فبعد أن صارت تقرأ القرآن وتتناقش مع "مستر فريد" أستاذها في المدرسة، وتسأل لماذا في النصرانية لا نملك شريعة؟ لماذا ليس لدينا قوانين؟ لماذا يملك المسلمون كل شيء؟

تقول كنت أرى المسلمين لديهم قوانين في الأسرة وفي الزواج وفي الأبناء وفي الإرث وفي الحياة الاجتماعية وفي المال وفي البيوع وفي الحرب وفي السلم، عندهم قوانين حتى للصلاة عندهم قوانين للوضوء، حتى في الحمام كيف تستقبل القبلة بأي شيء تستنجي، دينهم يعلمهم كل شيء، لكن نحن ليس عندنا كل هذا،

فذهبت وسألت البابا الأكبر في الكنيسة، الذي يعترف له النصارى بذنوبهم ليكون وسيطًا بينهم وبين الرب، سألته لماذا ليس عندنا ما نحتكم إليه؟ قال لأن ديننا النصرانية هو دين القلب والوجدان والروحانية ليس لنا في الأحكام، فقط اقنعني قلبك أنك تحبين الله، قالت ربما أقوم بعمل سيء، فقال المسيح يتحمل عنك، فلم تقتنع،

هذه الفتاة ذات الخمسة عشر عامًا تصل إلى حقيقة غاب عنها الكثير، أن دين الإسلام هو الدين الصحيح لأنه يملك تلك الشرعة التي يحاول الكثير من أهل هذا الزمن أن يتفلت منها، ويشعر أنها قيود تضيق عليه، "الله لا يعيد ذلك الزمن"، كانت تحدنا العوائق، هكذا أسهل، هكذا أريح، هذا أكثر حرية، هذا الذي تتململ منه وتشعر أنه يقيد حريتك، كان سبب اشراق نور الإسلام في قلب الفتاة،

فتح الله على قلبها وعقلها، والدور الآن علينا نحن لنعود إلى شرعة الله، نتعلمها، نحكمها في حياتنا، ونربي الأجيال عليها.

تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدّة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخل بروح المحاضرة ومعانيها